مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبر ١١: ٣٣–٤٠؛ ١٢:١–٢)

يا إخوةُ إنَّ القدِّيسينَ أجمعين بالإيمانِ قهَروا الممالِكَ وعمِلوا البرَّ ونالوا المواعِدَ وسدُّوا أفواهَ الأسود* وأطفأوا حِدَّةَ النارِ ونَجَوا من حدِّ السيفِ وتقوَّوا من ضُعفٍ وصاروا أشِدَّاءَ في الحربِ وكسروا مُعسكراتِ الأجانب* وأخذَتْ نساءٌ أمواتَهنَّ بالقيامةِ. وعُذِّبَ آخرونَ بتوتير الأعضاءِ والضَربِ ولم يقبَلوا بالنجاةِ ليحصُلوا على قيامةٍ أفضل* وآخرونَ ذاقوا الهُزء والجَلْدَ والقيودَ أيضاً والسجن* ورُجِموا ونُشِروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيف. وساحوا في جلودِ غَنَمٍ ومَعَزٍ وهم مُعوَزون مُضايَقون مجهودون* ولم يكن العالم مُستحقاً لهم. فكانوا تائهينَ في البراري والجبالِ والمغاورِ وكهوفِ الأرض* فهؤلاءِ كلُّهم مشهوداً لهم بالإيمانِ لم ينالوا الموعِدَ* لأنَّ اللهَ سبقَ فنظرَ لنا شيئاً

حول الرسالة

وجَّه بولس الرسول رسالته إلى العبرانيين أي إلى المسيحيين الذين كانوا قبلاً يهوداً ثم تنصروا ليوضح لهم عظمة سمو المسيحية على اليهودية وليحضهم على التزوّد بالقوة من خلال تأمّلهم بما تحمّله الرب يسوع من آلام.

إثر تعرّض المسيحيين من أصل يهودي لمضايقات واضطهادات من اليهود كاد البعض يفقدون إيمانهم بالمسيح فكُتبت هذه الرسالة بغية تشديدهم وتثبيتهم في الإيمان عبر تقديم أمثلة في طاعة الرب يسوع المسيح «رئيس الإيمان ومكمّله».

يبدأ الإصحاح الحادي عشر من هذه الرسالة بتعريف للإيمان: «وأمَّا الإيمانُ فهو الثِقةُ بما يُرجى والإيقانُ بأمورٍ لا تُرى» (عب ١١: ١). بعد هذا التحديد الواضح للإيمان، نجد أمثلة عن كيفية عيش الإيمان ابتداءً من خلق العالم مروراً بالعهد القديم وحتى الآن في العهد الجديد.

في مستهل المقطع الذي يُقرأ اليوم في الأحد الأول بعد العنصرة المعروف بأحد جميع القديسين، يتحدَّث بولس الرسول عمّا حققه القديسون بإيمانهم فيصف انتصاراتهم على أعدائهم. رغم كل التجارب التي أحاطت بالقديسين مثل مواجهتهم للأخطار والأسود والأعداء ووضعهم في وسط النار، لم ييأسوا من رجائهم الذي هو الله ومواعيده بل حافظوا على إيمانهم وغلبوا كل التجارب بنعمة وقوة الله الذي حامى عنهم ونجّاهم من كل المخاطر التي واجهتهم.

العدد ٢٠٠٩/٢٤
الأحد ١٤ حزيران
أحد جميع القديسين
تذكار القديس أليشع النبي، وأبينا الجليل في القديسين مثوديوس المعترف رئيس أساقفة القسطنطينية
اللحن الثامن
إنجيل السحر الأول

بعد ذكر الإنجازات التي حققها القديسون، يذكر بولس الرسول إنجازات من نوع آخر وهي احتمال العذابات الكثيرة من قِبَل القديسين كتوتير الأعضاء والضرب والهزء والجلد والقيود والسجن والرجم والنشر وقطع الرأس. إن هذه الآلام التي احتملها المؤمنون بالله ليست أقل رتبة من الإنجازات التي حققها آخرون، فاحتمال العذاب والألم والموت حفاظاً على الإيمان هي إنجازات عظيمة مثل الإنتصار على الأعداء وإخماد النار وسدّ أفواه الأسود. نستنتج إذاً ان الإيمان يُنتج من جهة إنجازات كبيرة ومن جهة أخرى عذابات كبيرة.

أفضلَ أن لا يكملوا بدونِنا* فنحن أيضاً إذ يُحدِقُ بنا مثلُ هذه السحابةِ من الشهودِ فلْنُلْقِ عنَّا كلَّ ثِقَلٍ والخطيئةَ المحيطةَ بسهولةٍ بنا. ولنسابِقْ بالصبر في الجِهادِ الذي أمامنا* ناظِرينَ إلى رئيسِ الإيمانِ ومكمّله يسوع.

الإنجيل

(متى ١٠: ٣٢–٣٣، ٣٧–٣٨؛ ١٩: ٢٧–٣٠)

قال الربُّ لتلاميذهِ كلُّ مَنْ يعترفُ بي قدَّامَ الناسِ أعترفُ أنا به قدَّام أبي الذي في السموات* ومَن ينكُرني قدَّامَ الناس أنكرُهُ أنا قدَّامَ أبي الذي في السموات* مَن أحبَّ أباً أو أماً أكثرَ مني فلا يستحقُّني. ومَن أحبَّ ابناً أو بنتاً أكثرَ مني فلا يستحقُّني* ومَن لا يأخذُ صليبهُ ويتبعُني فلا يستحقُّني* فأجاب بطرسُ وقال له هوذا نحنُ قد تركنا كلَّ شيءٍ وتبعناك فماذا يكونُ لنا* فقال لهم يسوعُ الحقَّ أقولُ لكم إنَّكم أنتم الذين تبعتموني في جيلِ التجديدِ متى جلسَ ابنُ البشرِ على كرسيِّ مجدِهِ تجلِسون أنتم أيضاً على اثنَيْ عَشَرَ كرسيًّا تدينونَ أسباطَ إسرائيلَ الإثني عَشَر* وكلُّ مَن ترك بيوتاً أو إخوةً أو أخواتٍ أو أباً أو أمًّا أو امرأةً أو أولاداً أو حقولاً من

ان القديسين هم أرفع شأناً من باقي الناس الخطأة لذلك يقول بولس الرسول ان العالم لا يستحقهم ولا يليق بهم. انطلاقاً من هذا لا يفترض بالمؤمن أن يبتغي أجرة في هذا العالم لأن كل مكافأة عالمية لا تليق بالرجل الصدّيق الذي يهتم فقط بمكافأة الخالق. لأجل ذلك نرى ان الكثير من الصدّيقين هربوا إلى المغاور والبراري وكهوف الأرض سائلين فقط نعمة الله ورحمته، وبهذا شابهوا معلّمهم الرب يسوع: «وأمَّا ابنُ الإنسانِ فليسَ له أين يُسنِدُ رأسه» (متى ٨: ٢٠).

إن الصدّيقين المشهود لهم بالإيمان أي الذين أعمالهم وإنجازاتهم تشهد على عظمة إيمانهم لم ينالوا الموعد أي الخلاص الذي سيتحقق بالرب يسوع لأن الصدّيقين من العهد القديم لم يصلوا إلى كمال الإيمان بدون الإيمان بالمسيح. الكل يتّحد في الرب يسوع: مَن كان في العهد القديم ومَن هو في العهد الجديد، كلنا نصير جسداً واحداً في المسيح وهكذا يتحقق الخلاص الكامل للجسد بكامله.

مع الإنتهاء من تفصيل ما حدث مع القديسين، يتوجَّه بولس الرسول إلى كل مَن يقرأ رسالته من المؤمنين ليعطيهم التوجيه المناسب. ان هؤلاء القديسين السابق ذكرهم هم سحابة تحيط بالمؤمنين لتظلّلهم وتندّيهم وتحميهم من شدَّة التجارب وقساوة الشياطين. المؤمن عندما ينظر إلى إيمان هؤلاء القديسين وأعمالهم يتعزَّى في حياته ويأخذ منهم قوَّة ليواجه كل ما يبعده عن الله، هذا بالإضافة إلى الصلوات التي يرفعونها من أجلنا نحن المجاهدين على الأرض في سبيل الله.

يتوجّب على المؤمن أن يطرح عنه ثقل الإهتمامات الدنيوية أي ألا يعود يرتبك بالأمور الأرضية كما نرتل في التسبيح الشيروبيمي: «لنطرح عنا كل اهتمام دنيوي كوننا مزمعين أن نستقبل ملك الكل». أما الخطيئة فهي تجذبنا وتغلبنا بسهولة إذ من السهل جداً أن يخطئ الإنسان ولا يتطلب الأمر إلاَّ أجزاء من الثانية ليخطئ بفكره أو بنظره أو بلسانه. لذلك السبيل الوحيد لمواجهة كل الأخطار المحيطة بنا هو الصبر في الجهاد بمعنى عدم الملل من الجهاد بل احتمال الصعوبات بفرح على أن يكون نظرنا موجهاً دائماً إلى الرب يسوع الذي أعطانا الإيمان وهو يكمّله أي يجعله كاملاً. بهذه الطريقة أي بالنظر إلى يسوع دائماً نحصل على النجاة لأنه هو الذي يحفظنا من كل ما يمكن أن نواجهه كما يقول داود النبي: «جعلتُ الربَّ أمامي في كُلِّ حينٍ، لأنَّه عن يميني فلا أتزعزع، لذلك فَرِحَ قلبي وابتهَجَت روحي، جسدي أيضاً يسكُنُ مُطمَئِناً لأنَّك لن تترك نفسي في الهاوية، لن تدَع تقيَّك يرى فساداً» (مز ١٦: ٨–١٠).

كنيسة الروح القدس

«حيث تكون الكنيسة يكون روح الله، وحيث يكون روح الله تكون الكنيسة ويكون ملء النعمة... المشتركون بالروح هم الذين يأخذون من أحشاء أمهم طعام الحياة، ويتقبلون كل شيء من الينبوع الكلي الطهارة الجاري من جسد المسيح» (من كتاب «ضد الهرطقات» للقديس إيريناوس أسقف ليون، القرن الثاني).

ذكرنا في العدد السابق ان وعد الرب يسوع، قبل انطلاقه إلى

أجلِ اسمي يأخُذُ مِئَة ضِعْفٍ ويـرثُ الحيـاةَ الأبـديـةَ* وكـثيرونَ أوَّلـون يـكـونـون آخِريـن وآخِرون يـكـونـون أوَّلين.

تأمل

أيها الشهداء اللابسو الجهاد لقد عانيتم الشدائد بـاختـيـاركـم محبّةً بـالله والمخلّص. عند كم دالةٌ أمام السيّد نفسه فتوسّطوا أيها القدّيسون من أجلنا نحن الكسالى الخطأة الممتلئين تـهـاونـاً لكي تـأتي علينا نعمةُ المسيح وتنيرَ قلوبَ المتهاملين كلّهم فنحبّه. أنتم في الحقيقة مطوَّبون ومجيدون. الملائكة والناس يـطـوّبـونـكـم لأنـه في أوانِ الشدّة عندما يتصاعد ألمُ العذابات كان الفردوسُ أمام أعينكم وكنتم تقولون: «لتزدَدْ هـنـا عذابات الجسد حتى تـزداد هـنـاك في فـردوس النعيم راحتُه».

وعندما كانت تنطلق عـمـلـيـة الـعـقـوبـات كـانـت تطويبات الله تنتصب أمام أعينكم «طوبى للمضطهدين من أجل البرّ لأن لهم ملكوت السموات» (متى٥:١٠). لأنكم مقتنعون ان الله العليّ غيرُ كاذب عندما أعطى الوعد. لقد كانت أمام أعينكم مثلُ هـذه الخيرات المستقبلة وكنتم متأكّدين أنكم سوف تتمتعون بها بفرح لا نهاية له. لذلك أيّها القديسون لم تفتر قوّة عزمكم.

الصلب، بإرسال «معزٍّ آخر» يكون مع التلاميذ ويقودهم ويرشدهم، وقد تحقق يوم العنصرة عندما حلَّ الروح القدس بشكل ألسنة نارية على رؤوس التلاميذ، فانطلقوا من بعدها ناقلين البشارة بابن الله القائم من بين الأموات إلى كل أنحاء العالم. مهمَّة الروح القدس هي إعلان الإبن وإبقاؤه حاضراً في الكنيسة بين البشر. مهمّته جعل الفداء والخلاص الذي حققه الرب بتجسده وآلامه وموته وقيامته ممتداً في التاريخ بين البشر وبالتالي تقديس البشر. مع العنصرة صارت الكنيسة، جسد المسيح، التي أسَّسها الرب في العشاء الأخير، صارت حقيقة ملموسة في الزمان والمكان.

في العنصرة عُمِّم ما حصل في العشاء الأخير عندما أعطى الرب الخبز والخمر لتلاميذه على أنهما جسده ودمه الكريمين، فصار لدينا الإفخارستيا الإلهية، القداس الإلهي، الذي فيه يتحوَّل كل مرَّة الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح بقوة وفعل وحلول الروح القدس، وتتحقق الكنيسة فعلاً عبر اشتراك الجماعة بجسد الرب ودمه الكريمين: «فإنَّنا نحن الكثيرينَ خُبزٌ واحدٌ، جسدٌ واحدٌ، لأنَّنا جميعَنا نشتركُ في الخُبزِ الواحِدِ» (١كور١٠:١٧). الروح القدس هو الذي يحيي الكنيسة ويفعل فيها وهو الذي يضمن حضور المسيح وخلاصه في جماعة المؤمنين. لذا يمكننا القول مع ترتليانوس ان الكنيسة هي كنيسة الروح القدس، لأنها تحيا وتفعل بالروح، وهي مكان عمله. فلا حياة في الكنيسة ولا عمل في داخلها ولا كهنوت إلاَّ بالروح، ومن دونه لا توجد كنيسة.

الأسرار هي من القنوات التي يعمل فيها وعبرها الروح القدس من أجل تقديس البشر. هي قنوات ننال بها عبر علامات منظورة نعمة الروح القدس غير المنظورة. هي قنوات تحمل لنا دوماً بنعمة الروح القدس فداء المسيح الذي قام به مرة واحدة وإلى الأبد وذلك من أجل خلاصنا. من أجل ذلك، في الكنيسة الأرثوذكسية، لا يمكننا حصر الأسرار بالعدد سبعة. فكل صلاة تقديسية ننال عبرها نعمة الروح القدس لتقديسنا هي سر، إذ ان هدفها تحويل حياتنا لكي نكون فعلاً مسحاء، على صورة المسيح لابسين إياه. «بارتوائنا من الروح نكون قد شربنا المسيح»، يقول أثناسيوس الإسكندري، ذلك لأن الأسرار تدخلنا إلى المكان حيث تنقلب الحياة الصائرة إلى الموت، بنعمة الصليب إلى حياة في الروح.

الروح القدس يجعل من ماء المعمودية «رحماً للبنوّة» «إن كان أحدٌ لا يُولَدُ من الماءِ والروحِ لا يقدِرُ أن يدخُلَ ملكوتَ اللهِ» (يو ٣: ٥). الروح القدس هو الذي يلدنا في المعموديّة في جسد واحد هو الكنيسة: «لأنَّنا جميعَنا بروحٍ واحدٍ أيضاً اعتَمدنا إلى جسدٍ واحدٍ، يهوداً كنَّا أم يونانيينَ، عبيداً أم أحراراً وجميعُنا سُقينا روحاً واحداً» (١ كور ١٢: ١٣). وكما ان الجسد الواحد مؤلَّف من أعضاء كثيرة وكل عضو مهم في هذا الجسد وله مكانته وخدمته، كذلك كل عضو في الكنيسة له خدمته التي تُعطى له بالروح القدس الذي حلَّ عليه في عنصرته الشخصية عندما نال سر مسحة الميرون، مسحة الروح القدس: «فأنواع مواهبَ موجودة ولكنَّ الروحَ واحدٌ وأنواعُ خِدَمٍ موجودةٌ ولكنَّ الربَّ واحِدٌ. وأنواعُ أعمالٍ موجودةٌ ولكنَّ اللهَ واحِدٌ

إن فرح الخيرات المستقبلة وبهجة رجائكم جعلاكم شجعاناً في كل ساعة دون أن تشبعوا أبداً من العقوبات, لقد رآكم العدو تقفون في الجهاد بمروءة بلا خوف دون أن تجزعوا في قلوبكم للعذابات والتجارب فانحلّت قوّة شرّه.

عندما ظفرتم بعذاباته كلّها اعتقد العدو أنه سوف يرمي برجولتكم كلّها بخوف السيف لكي تُنكروا المسيح الذي تتشوق إليه دائماً النفوس التي تخشاه. إنما لم يعرف الشقيّ ان السيف يُدفق ينابيعَ من الدماء الغزيرة من أعناق القدّيسين الشجعان بطريقة يندثر فيها هو في وسط أمواج دماء القديسين البسلاء وكان يقول لقواته بخجل: «إنني أخاف وأخجل من هذا الدم الذي يسيل من أعناق أولئك الذين يُذبحون من أجل اسم يسوع الناصري لأن الواحد كان يحثّ الآخر ليموت من أجل المسيح. إن رائحة دمهم تسبّب لي دوخة. لا أستطيع أبداً أن أقف ولو ساعة واحدة أو حتى لحظة واحدة أمام رفاق تلاميذ المسيح. لقد كان الأفضل لي أن لا أدفع الملوك ضدّهم لأن ها هو دمهم يطاردني من كلّ جانب. رائحة دمهم تهزم قوّتي لأني لا أستطيع أبداً أن أقترب من المكان حيث تكمن عظام تلاميذ المسيح».

القديس أفرام السرياني

الذي يعملُ الكلَّ في الكلِّ. ولكنَّه لِكُل واحدٍ يُعطى إظهارُ الروحِ للمنفعةِ. فإنَّه لواحدٍ يُعطى بالروحِ كلامُ حِكمةٍ، ولآخرَ كلامُ علمٍ بحسبِ الروحِ الواحدِ. ولآخرَ إيمانٌ بالروحِ الواحدِ. ولآخرَ مواهبُ شفاءٍ بالروحِ الواحدِ. ولآخرَ عَمَلُ قوَّاتٍ ولآخرَ نبوَّةٌ ولآخرَ تمييزُ الأرواحِ. ولآخرَ أنواعُ ألسنةٍ. ولآخرَ ترجمةُ ألسنةٍ. ولكنَّ هذه كلَّها يعملُها الروحُ الواحدُ بعينِهِ قاسِماً لكُلِّ واحدٍ بمفردِهِ كما يشاءُ لأنَّه كما أنَّ الجسدَ هو واحدٌ وله أعضاءٌ كثيرةٌ وكلُّ أعضاءِ الجسدِ الواحدِ إذا كانت كثيرةً هي جسدٌ واحدٌ كذلك المسيحُ أيضاً» (١ كور ١٢: ٤-١). كل إنسان يعمل في الكنيسة يعمل بنعمة الروح القدس التي حلَّت عليه، كما ان كل إنسان ختم «بختم موهبة الروح القدس» له موقعه وخدمته داخل الجسد الواحد. قد يكون كاهناً، أو مرتلاً، أو مصلّياً مصغياً إلى كلام الرب، أو موظفاً أو مهندساً، أو طبيباً أو عاملاً. المهم ان المسيحي يُقر ان مهما لديه من مواهب تجلت فيه إنما هي عطية الروح القدس الذي حلَّ عليه يوم معموديته. من هنا يصح القول ان الكنيسة هي كنيسة الروح القدس.

في الصلاة

ينبغي على مَن يجاهد للبلوغ إلى الكمال ألاّ يحصر الصلاة ضمن أوقات وساعات محدَّدة إلاّ عند الضرورة والمرض. فالرب أوصى أن يُصلّى دائماً، ليلاً ونهاراً (لو ١٨: ١)، والرسول سَنَّ قانوناً بأن تُقدَّم الصلاة لله الكلي القدرة بشكل مستديم (١ تسا ٥: ١٧).

فبالصلاة ينال المؤمنون كل صلاح، ليس الرجاء بالله وحسب، ولكن الإيمان الأكيد والمحبة الصادقة والتسامح والأخوّة والإمساك والصبر والمعرفة الداخلية والنجاة من التجارب والاعتراف القلبي والدموع المدرارة والصبر في الشدائد والصفح الصادق للقريب ومعرفة الناموس الروحي واكتشاف عدالة الله وحلول الروح القدس، وكل ما وعد الله أن يمنحه للناس المؤمنين هنا وفي الدهر الآتي.

وباختصار يستحيل على النفس أن تظهر بحسب الصورة إلاّ بمساهمة النعمة الإلهية أولاً، وبالإيمان ثانياً مصحوباً بالتواضع الكثير والصلاة المتواصلة في الذهن البعيدة عن كل تشتت.

أدعُ الله فيفتح حدقتيّ ذهنك وترى منفعة الصلاة والمطالعة الصائرة بوعي. إن الصلاة تدعى فضيلة وهي أمّ الفضائل كلها؛ لأنها تلدها باتحادها بالمسيح. فكل ما نعمله بدون صلاة ورجاء صالح يكون مضراً.

عندما يرى الشيطان أنّ الذهن قد صلّى من أعماق القلب، يحاربه بأفكار خبيثة كثيرة وسيئة لأن الفضائل الصغيرة لا تحتاج لتخريبها إلى هجمات كبيرة.

فللحصول على مساهمة النعمة الإلهية وعلى الرضى الإلهي، لا توجد وسيلة أقوى وأنجع من الصلاة. حسن أن نُفيد بالكلام من يطلبون المنفعة. لكن الأفضل من ذلك أن نساعدهم بالفضيلة والصلاة. لأن مَن يكرّس نفسه لله بواسطة هذين الأمرين يساعد الآخر بالوسيلة التي يساعد بها نفسه مهما كان بعيداً.

القديس مرقس الأفسسي

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb